

النَّصُّ التَّوَصُّلِيُّ وأثره على المتلقي

عند الجرجاني (ت471هـ)

م.م زينة كريم علوان

النَّصُّ التَّوَصُّلِيُّ وأثره على المتلقي

عند الجرجاني (ت471هـ)

م.م زينة كريم علوان

الخلاصة

تعد الرسالة اللسانية أحد أهم مكونات الخطاب، فهي التي تقوم بعملية البيان والافهام والاقناع والتفسير لمضمون الخطاب، وتقدم شروحات قد تكون كافية لفهم المغزى والمعنى المراد إيصاله للمتلقي، ومن ذلك الخطاب كلام الجرجاني في مختلف تجلياته يوظف الرسالة اللسانية، لا يصل الفكرة الأساسية كاملة غير منقوصة، والرسالة اللسانية تستند من أجل بناء معانيها إلى المعطيات التي توفرها نصوص الجرجاني، وتستند من جهة ثانية إلى معطيات بلاغية مؤثرة، وهنا نسلط الضوء بإسهاب في تجليات الرسالة اللسانية الكامنة والضمنية في كلام الجرجاني رحمه الله تعالى، وقد قسم البحث على تمهيد ومطالب عدة، وخاتمة، تناولت في التمهيد: الرسالة التوصلية (ماهيته وصياغتها ووظائفها)، أما المطلب الأول فتخصص بـ(في فروق الاحوال)، والمطلب الثاني: في الأفعال من حيث اللزوم والتعدي، المطلب الثالث: في أدوات الربط، المطلب الرابع: في أسماء الإشارة، وختمت البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

Abstract

The linguistic message is one of the most important components of speech, as it carries out the process of explaining, understanding, persuading and interpreting the content of the speech, and seeks to understand the meaning intended to be conveyed to the recipient.

Among that speech is Al-Jurjani's speech, which employs the linguistic message to convey the entire basic idea, and the linguistic message is based on influential rhetorical methods in Al-Jurjani's speech. The research was divided into an introduction, demands, and a conclusion.

Introduction: The communicative message (its nature, formulation, and functions), as for the first requirement (in the differences in adverbs), the second requirement: in verbs in terms of immanence and transitivity, the third requirement: in conjunctions, the fourth requirement: in demonstrative nouns, and

I concluded the research with the most important results that I reached. the study.

مقدمة

يعد التواصل بين الناس من أهم وسائل التكامل الإنساني على مستوى نقل الخبرات وفهم الأفكار وإيصال المقصود إلى الآخر، فلا تستقيم حياة الإنسان إلا به، قال ابن خلدون " إن الاجتماع الإنساني ضروري"⁽¹⁾. بمعنى أن حياة الإنسان لا تستقيم إلا بالتعاون مع أبناء جنسه لتوفير الغذاء والملبس والمأوى... ومن هنا تتجلى أهمية التواصل بين الأفراد في المجتمع سواء أكانوا تابعين أو متبوعين ، وذلك من أجل حفظ النوع وتأمين البقاء.

وقد أصبح التواصل اليوم علما مستقلا بذاته ومن أهم العلوم التي تدرس في المدارس والجامعات و المعاهد، لضبط قواعده، و اكتساب مهاراته، وإشاعة ثقافة التواصل، قصد تحقيق البناء المتكامل في كل مجال من مجالات الحياة.

وإن عملية التواصل ظاهرة إنسانية شمولية، عملية طبيعية ولدت مع بدء خلق الإنسان حين استخلفه الله في أرضه، ومن ثم شكل التواصل - باعتباره نشاطا إنسانيا - مرتعا خصبا للبحث وإثارة إشكالات وقضايا فكرية متعددة المشارب، ومختلفة الرؤى والتوجهات، فكانت تمظهراته بؤرة للنقاش والدراسة، تناولها العلماء والباحثون... وأسسوا لها نظريات عديدة ومناهج متنوعة، وتجادبته حقول معرفية مختلفة (علم النفس وعلم الاجتماع واللسانيات والسيميائيات وعلم الإعلام، معتبرة التواصل قواما للحياة الإنسانية، وخطا مطاطيا لا تستقيم حياة الأفراد إلا عبره وبواسطته، ولا يتحقق مراد الإنسان إلا من خلال تحقيق التواصل مع الكون الذي يحيط به)⁽²⁾.

وما يعيننا من العناصر التواصلية في هذه الدراسة هو النص التواصلية أو (الرسالة) التي تتمثل في النصوص المكتوبة وبعض التفاصيل حول المادة التي يراد إيصالها للمتلقي، وتتكون من مجموعة الدلائل اللغوية المشكلة للكلمات والجمال المرافقة للصورة. والرسالة اللسانية المرافقة للصورة تدمج الانفعالية والعواطف

(1) تاريخ ابن خلدون المسمى: لعبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: 4.

(2) ينظر: إشكالية التواصل وأركان العملية التواصلية، مجلة قضايا لغوية، عبد الله الحتوك، مختبر المغرب: التاريخ والعلوم الشرعية واللغات كلية الآداب و العلوم الإنسانية سايس - فاس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله (فاس المغرب المجلد 3، العدد الأول، 2023، ص:95.

ورغبات المتلقّي والمشاهد للصورة، فهناك ألفاظ توحى بالانجذاب أو النفور، كما أن هناك من تسبب الخجل أو الغضب فهي تستخدم لإثارة الانفعال في الإنسان فتجذب انتباهه وتقوده نحو سلوك معين⁽³⁾.

التمهيد

الرسالة التواصلية (ماهيتها وصياغتها ووظائفها)

تعد الرسالة بمثابة صمام التواصل وقلبه، فهي لبّ الخطاب وحاملة للأفكار، وكل المعلومات التي يروم المرسل بتحقيقها وتوصيلها إلى المتلقّي. وهذا الوعاء (الرسالة) ما هو إلا مضمون السلوك الاتصالي، كما أن الإنسان بطبيعة الحال يرسل ويتلقّى كميات كبيرة، ومتنوعة من الرسائل يوميًا، بغض النظر عن نوع الرسالة، سواء أكانت خاصة (مثل: الحركة، الإيماء، الابتسامة، النظر... وغيرها)، أو عامة (كالندوات، والمحاضرات، والتلفاز، والصحف... وغيرها الكثير)، فضلًا عن أن هناك رسائل تُنقل بقصد، وأخرى تُنقل بالمصادفة، وكلما حصل الفهم والتفاعل المتبادل بين المرسل والمرسل إليه، واستطاع الأخير أن يستوقف الأول لمزيد من الفهم، كلما اكتسبت الرسالة فعالية أكبر وأدت المطلوب بشكل أفضل ومثالي⁽⁴⁾. أما وظيفة الرسالة برأي جاكبسون فهي وظيفة جمالية⁽⁵⁾. وقال كل من شينون، و ويفر: بأن التواصل اللساني يتم عبر الرسالة من المتكلّم إلى المستقبل، وهذه الرسالة يتم تشفيرها ومن ثم ترسل عبر القناة، ويشترط فيها الوضوح وسهولة القصدية ليتم نجاحها ونجاح قصد أداء وظيفتها⁽⁶⁾.

وقد وردت في قاموس اللسانيات بمعناها العام أنها ((وحدة الإشارات المتعلقة بقواعد تركيبات مضبوطة يبعثها جهاز الاستقبال عن طريق قناة حيث تستعمل كوسيلة مادية للاتصال)).⁽⁷⁾ وقيل إنها: الجانب الملموس في العملية التخاطبية حيث تتجسّد أفكار المرسل في صور سمعية في الخطاب الشفوي، أو

⁽³⁾ ينظر: تجليات الرسالة اللسانية في الخطاب السينمائي قراءة في أبعاد ودلالات اللغة السينمائية، جابري سارة، جامعة عباس لغرور خنشلة، الجزائر، [ALTRALANG Journal](http://ALTRALANG.Journal)، Volume 05 Issue 01 / June 2023: 532.

⁽⁴⁾ ينظر : الاتصال ونظرياته المعاصرة، حسن عماد مكاوي و ليلي حسين السيد، 48.

⁽⁵⁾ ينظر: التواصل اللساني و السيميائي والتربوي، 14.

⁽⁶⁾ ينظر المصدر نفسه، 22.

⁽⁷⁾ التواصل اللساني والشعرية، 23.

علامات خطية في الرسالة المكتوبة، وربما في إشارات عديدة (إشارات الصم والبكم وإشارات السير...). وهي تمثل محتوى الإرسال وتتمحور حول إطار مرجعي معين وتنسج أبنية. نظامها في ضوء نظام لغوي مقنن (سنن code)⁽⁸⁾، ويكون هذا الانتقاء بإتباع أربع مراحل أساسية حددها "روسي هجمان" والتي يمكن اعتبارها كخطوات لتصميم الرسالة وصياغتها النهائية⁽⁹⁾ :

- 1- تحديد التغيير الذي سيحدث له الأثر المطلوب في سلوك المتلقي
- 2- تحديد الفكرة لإنتاج صورة ذهنية (image mentale) تجسد تغييرا في السلوك.
- 3- تفتيت تلك الفكرة إلى أجزاء يتم تحديدها برموز اصطلاحية، يستطيع استخدامها لتكوين عبارات.
- 4- تنظيم تلك الرموز في سلسلة يربطها بواسطة القواعد والمؤشرات النحوية والتي ستمكن المتلقي من إعادة تركيب الفكرة الأصلية المراد توصيلها عبر الرسالة.

وبعد مرور الرسالة بمرحلة التأسيس، والنقل، والتبادل، والتفكيك، أصبح لابد أن تتوافق وتتطابق الرموز والإشارات، والمعلومات التي يستلمها المتلقي، مع ما هو مخزون في ذاكرته من معلومات، ليتحقق التواصل، ويصل المرسل إلى مبتغاه ويبث قصده، ومن ثم يضيف المرسل إليه كل ما تلقاه إلى رصيده المعرفي.⁽¹⁰⁾ أما وظائف الرسالة اللسانية نذكر منها⁽¹¹⁾:

- 1- وظيفة التوجيه : Fonction d'orientation الصورة ليست واضحة لأنها متعددة المعاني فهي لا تحمل معنى محدد، لكن النص المرفق أو الشعار يوجه المستقبل نحو معنى معين، مرغوب من طرف المعلن.
- 2- وظيفة الترسخ : Fonction d'encrage الترسخ كما يقول "بارث Roland barth" هو نوع من التلاعب المتبادل بين الصورة والنص مهمته توجيه القارئ نحو مدلولات خاصة بالصورة وذلك لتثبيت سلسلة المعاني الطائفة.

(8) ينظر: التّواصل اللساني والشعرية مقارنة تحليلية لنظرية رومان جاكسون:

(9) ينظر: اللغة والحياة الطبيعية البشرية: 166.

(10) ينظر: في التداولية المعاصرة والتواصل، مولز زيلتمان أوريكيوني، 28.

(11) ينظر: تجليات الرسالة اللسانية في الخطاب السينمائي قراءة في أبعاد ودلالات اللغة السينمائية، جابري

3- وظيفة المناوبة Fonction de relais: تظهر هذه الوظيفة عندما تعجز الصورة عن أداء الشروحات اللازمة أو حينما يحدث إفراطاً حسياً في النظرة، فيأتي دور الرسالة اللسانية للحد من المعاني التعيينية وذلك بالإنابة عنها وتتحقق هذه الوظيفة في الصور المتحركة.

ومن هنا ساقف على مطالب عدة في رسائل الجرجاني التي أراد إيصالها إلى المتلقي:

المطلب الأول: في فروق الأحوال: إن الرسالة التي طمح الجرجانيّ إيصالها إلى المتلقي من خلال نصه الذي كان مفاده: ((اعلم أنّ أوّل فَرْقٍ في الحال أنّها تجيء مُفْرَداً وَجُمْلَةً، والقصدُ ههنا إلى الجملة. وأوّل ما ينبغي أن يُضَبَّطَ مِنْ أَمْرِهَا أنّها تجيء تارةً مع "الواو" وأخرى بغير "الواو"، فمثالٌ مَجِيئُهَا مَعَ الواو قولك: "أتاني وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ دِيْبَاجٍ... ومثالٌ مَجِيئُهَا بغير "واو": "جاءني زَيْدٌ يَسْعَى غُلَامُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ"... وفي تمييز ما يَفْتَضِي "الواو" ممّا لا يقتضيه ضُعُوبَةٌ. والقول في ذلك أنّ الجملة إذا كانت من مُبْتَدَأٍ وخبرٍ، فالغالب عليها أن تجيء مع "الواو" كقولك: "جاءني زَيْدٌ وعمرُو أَمَامَهُ" و "أتاني وَسَيْفُهُ على كتفه"، فإن كان المبتدأ من الجملة ضمير ذي الحال، لم يَصْلَحْ بغير "الواو" البتة، وذلك كقولك: "جاءني زَيْدٌ وهو رَاكِبٌ" و"رَأَيْتُ زَيْدًا وهو جَالِسٌ"... فلو تركت "الواو" في شيء من ذلك لم يَصْلَحْ. فلو قلت: "جاءني زَيْدٌ هو رَاكِبٌ"...، لم يَكُنْ كلاماً))،⁽¹²⁾ الجمل المتنوعة أعلاه (أتاني وعليه ثوب ديباج)، و(جاءني زَيْدٌ يسعى غلامه بين يديه) (جاءني زيد وعمرُو أَمَامَهُ)، و(أتاني وسيفه على كتفه) حيث كان قصد المتكلم ورسالته منها بأن من فروق الحال مَجْتَبِئُهَا مُفْرَداً، وجملةً، وأختص حديثه في هذه الأمثلة المُنتَقاة عن الجملة دون المفرد، وتحديدًا [الجملة الاسمية من المبتدأ والخبر]، التي تجيء تارةً مع الواو وتارةً بغير الواو، وأيضًا أراد أن يبعث للمستقبل فكرة أن التمييز بين الجملة التي تقتضي الواو من التي لا تقتضي أمر صعب، وهذا يعني بأن فهم الجملة يعتمد على السياق، وعلى كيفية استيعاب وإدراك المتلقي لها.

يُلحِظ من الخطاب المختار آنف الذكر أن منتج الرسالة [الجرجاني]، قد مهد لطلابه ومستقبليّ خطابه بفعلٍ كلامي مباشرٍ، وبصبغةٍ تعليميةٍ أحالَ عليها الفعل (اعْلَمْ...)، والمراد بالصبغة: ((الملاح الساطعة والدلائل الواضحة، والخطوط العامة، والمعالم البارزة التي تجعل الكلام يبدو في هيئة معينة، يلمسها ويدركها كل مستمع أو قارئ متأمل للكلام ولصاحبه)).⁽¹³⁾

⁽¹²⁾ دلائل الإعجاز: 202.

⁽¹³⁾ سلطان اللغة: 108.

أما المعنى العام للرسالة المراد إرسالها والتواصل مع المرسل إليه من خلالها، لمسنا شذراته من العبارة التي تقول: (والقصد ههنا إلى الجملة)، أي أن المعنى سينصب في جملة الحال (الاسمية)، وهي أيضًا الرسالة المراد تبليغها. وكل كلام يصدره المتكلم، ويطمح إلى تحقيقه، لابد أن يصطبغ بصبغة معينة، والصبغة التعليمية هي المعالم البارزة على أسلوب الجرجاني، وهي جملة من إصدار الأوامر، والنواهي، والتعريفات والعناية بالتحديد، وينصب تركيز المتكلم على التوجيه وتصحيح فكرة ما، وملاحم [صبغة] الجرجاني هنا إيجابية لا سلبية؛ لأنه لم يبالغ بالكلام والتوجيه، وتحدث بشكل مفيد ومحدد بحسب الحاجة، مع مراعاته لنوع المخاطب وحالته من حيث مستواه الفكري ومدى استيعابه واستعداده.⁽¹⁴⁾

ولنمط التواصل الذي تضمنته الرسالة في هذا النص هو نمط "أحادي الاتجاه" الذي يبقى فيه المرسل والمستقبل نفسيهما، وتسير الرسائل في اتجاه واحد، فضلاً عن أن المرسل في هذا النوع من التواصل يرسل أكثر مما يستقبل، كالأستاذ، والرئيس الذي يلقي خطاباً ما على الجمهور... وغيرها من الحالات.⁽¹⁵⁾ والأفعال التي استعملها الجرجاني في آخر النص المختار، هي (تجيء، يصلح، يكن) كلها أفعال مضارعة وكما هو معروف بأن من دلالة الفعل المضارع: ((أنه يدل على وقوع الحدث في زمن الحال، ويتفق جمهور النحاة على أن الفعل المضارع من حيث الزمن مشترك بين الحال والاستقبال)).⁽¹⁶⁾ بمعنى أن الخطاب المباشر الذي عبر به المتكلم عن رسالته ليس مختصاً بمخاطب معين؛ فهو يصلح كذلك لكل زمان، ولكل متلقي وقارئ يتواصل مع محتوى كلامه. وكل من يقرأ بمؤلفات الجرجاني يجد ألفاظه مستساغة، يسيرة الفهم، غير مختصة بالزمان الذي قيلت فيه؛ بل إنها احتوت على موضوعات وأفكار مشابهة للعلوم الحديثة والمعاصرة وخاصة مؤلفه "دلائل الإعجاز"؛ لأنه يحمل مادة غزيرة، وعميقة مهمة، ومتنوعة شملت أغلب مستويات اللغة.

المطلب الثاني: في الأفعال من حيث اللزوم والتعدي: نضيف إلى هذا أن نوعاً الأفعال من حيث اللزوم والتعدي، هي أفعال متعدية، وأما الفعل "تجيء" المشتق من الفعل جاء، يشترك في اللزوم والتعدي، بحسب السياق الذي يرد فيه. والمقصود بالفعل المتعدي: هو الفعل الذي يتعدى إلى نصب مفعول به واحد أو أكثر ومن علامته أن يتصل به ضمير يعود على غير المصدر.⁽¹⁷⁾ من ثم أن خطاب الجرجاني نفسه نجده غير موجه لمخاطب معين؛ بل تعدى إلى أكثر من ذلك. وبالنسبة لنمط الحدث الكلامي المذكور آنفاً هو نمط

⁽¹⁴⁾ ينظر: المصدر نفسه، 117.

⁽¹⁵⁾ ينظر: في التداولية المعاصرة والتواصل، 12-13.

⁽¹⁶⁾ فتح رب البرية في شرح نظم الاجرومية: احمد عمر مساعد الحزامي، 69؛ وينظر: الحوار في شرح الاجرومية، السيد حسن الديب، 283.

⁽¹⁷⁾ ينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح الفية ابن مالك، ابو محمد بدر الدين حسن قاسم المرادي، 630؛ وينظر: أوضح المسالك على ألفية ابن مالك، ابن هشام، 156.

النصّ التواصلّي وأثره على المتلقّي

عند الجرجانيّ (ت471هـ)

م.م زينة كريم علوان

تعبيري، ويقصد به التعبير عن شرط الصدق للفعل الكلامي، مع أن شرط الصدق في هذا النمط قد يتغير مع تغير نمط التعبير؛ لذا فالخبر صادق إذا شعر المتكلم بصدق الخبر فعلاً.⁽¹⁸⁾

المطلب الثالث: في أدوات الربط: نضيف إل ذلك أدوات الربط المذكورة في الرسالة المبعوثة إلى المرسل إليه وإحدى هذه الأدوات "الضمائر" المستترة المقدرة منها، والمتصلة: (هي، وتاء الفاعل)، حيث جاءت الأولى منها مقترنة بالفعل (تجيء)، وأحدث هذا الضمير إحالة قبلية داخل النص حيث أحال إلى لفظة "الجملة" في عبارة ((والقصد ههنا إلى الجملة))، أما الضمير الآخر (تاء الفاعل) فقد اتصل بالفعل (تركت) الذي استعمله المتكلم من دون الأفعال الأخرى، والمراد به الإهمال والفساد، وأختار له الضمير المتصل (التاء)، بمعنى أنت أيها المُخاطب مسؤول عن إفساد معنى الكلام وإتمامه وقصد الجرجانيّ ذلك بقوله: ((فلو تركت الواو في شيء وكان المبتدأ من الجملة ضمير ذي الحال لم يصلح بغير الواو)).⁽¹⁹⁾ ذلك التدرج والتنوع في الأفعال، وأدوات الربط، التي استعملها المرسل يؤدي إلى إتقان وظيفة التواصل، فضلاً عما تؤديه الأدوات من تماسك وترابط بين أجزاء الرسالة مع بعضها الآخر، وهذا يساعد المخاطب على الفهم ويحيله إلى المعنى المراد من الرسالة والوصول إلى الغرض بسهولة ويُسر، وبهذه الحالة قد تتسم العملية التواصلية بالمثالية والنجاح.

كل ما تم ذكره آنفاً استطاع المتكلم إنجازَه وإيصال محتواه إلى المتلقّي بواسطة ((استراتيجية الإقناع))⁽²⁰⁾، وهو أسلوب إنماز به الجرجانيّ لإمكانيته العجيبة في ذلك، فلم نجده هاجياً ولا متعنّياً ولا شاتماً للذين أخطأوا بحق علوم اللغة العربية، وموضوعاتها المختلفة؛ بل تعامل معهم بأسلوبٍ سهلٍ ممتعٍ ومقنع قريب من الطبقة المراد مخاطبتها والتواصل معها، إذن ومن خطابة السابق أراد أن يقنع المرسل إليه بوجهة نظره ويُحدث لديه تغييراً فكرياً.

أراد المتكلم أن يوصل رسالة أخرى إلى المُخاطب من النصّ الآتي الذي تضمنه شاهد قرآني مبارك مقتبس من سورة الكهف حيث قال: ((وإذا أردت أن تعتبره حيث لا يخفى أن أحدهما لا يصلح في موضع صاحبه، فانظر إلى قوله تعالى: {وَكَلْبُهُمْ بِرِجَالِهِمْ يُبَاسِطُونَ} [سورة الكهف: 18]، فإن أحداً لا يشك في امتناع الفعل ههنا، وأن قولنا: "كلبهم يبسط ذراعيه"، لا يؤدّي الغرض، وليس ذلك إلا لأنّ الفعل يقتضي مزاوله وتجدد الصفة في الوقت، ويقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مُزاولَةٌ وترجيئة فعلٍ ومَعْنَى يحدث شيئاً فشيئاً. ولا فرق بين "وكلبهم باسط"، وبين أن يقول: "وكلبهم واحد" مثلاً في

⁽¹⁸⁾ ينظر: العقل واللغة والمجتمع، جون سيرل، ترجمة سعيد الغانمي، 219.

⁽¹⁹⁾ دلائل الإعجاز: 202

⁽²⁰⁾ استراتيجيات الخطاب: 444.

أنك لا تُثبت مُزاولةً، ولا تجعل الكلب يفعل شيئاً، بل تُثبت بصفته هو عليها. فالغرض إذن تأدية هيئة الكلب⁽²¹⁾ هو خطاب حمل العديد من الدلالات اللسانية المتنوعة، وأولى هذه الدلالات عندما أنجز المتكلم خطابه بفعلٍ كلامي مباشر أيضاً، من دون الحاجة إلى وسائل أخرى لنقل قصده ومبتغاه، والذي أدى إلى نجاح خطابه، وتواصله مع المرسل إليه، هي القوة الإنجازية، والسلطة التي كان يمتلكها المرسل "الجرجاني" بحكم منزلته العلمية والثقافية الرصينة، ومقامه الرفيع؛ لأنه معلمٌ وملمٌ بأغلب الاختصاصات والمستويات اللغوية. وقد بانَ على أسلوب خطابه أنه قد أتقن مبدأ التعاون الذي صرح به غرايس، والتزم بالمسلمات أو القواعد الحوارية الأربع وهي، مسلمة الكم، والكيف، والمناسبة، والطريقة.⁽²²⁾ وفي دلالة أخرى اتضحت شذرات الفعل (أنظر) الذي يُحيل إلى معنى فعل الأمر الإنجازي المباشر، حيث أراد به المتكلم توجيه مسامع المخاطب، ولفت أنظاره إلى محتوى خطابه وما يتضمنه من تفاصيل وموضوعات يطمح إلى تحقيقها، وإيصالها للطرف الآخر المشارك في العملية التواصلية. إذن نستنتج من هذا القول إن المتكلم قد تواصل بفعلٍ توجيهي مباشرٍ أحاله إليه فعل الأمر (انظر).⁽²³⁾

المطلب الرابع: في أسماء الإشارة: إنَّ المفهوم الإشاري الذي ظهر واضحاً ومتنوِّعاً في رسالة المتكلم، يُعد أيضاً دلالة لسانية تواصلية، حيث استعان المتكلم ببعض أسماء الإشارة لإنجاز رسالته وإتمامها ولكي تساعد المتلقي أن يتوصل من خلالها إلى الغرض المطلوب، فجاءت تلك الأسماء تارة للمفرد، وتارة للمكان أو للقصد البعيد، والقريب، ومفهوم الإشارة هذا يُعد: ((مفهوماً لسانياً يجمع كل العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة على المقام من حيث وجود الذات المتكلمة، أو الزمن أو المكان، حيث ينجز الملفوظ والذي يرتبط به معناه؛ من ذلك: الآن هنا-هناك-هذا... وهذه العناصر تلتقي في مفهوم التعيين أو توجيه الانتباه إلى موضوعها بالإشارة إليه)).⁽²⁴⁾

إنَّ أسماء الإشارة الوارد ذكرها في النص المختار هي: (هنا- ذلك- هناك)، وأول هذه الأسماء (هنا) التي تحيل على قرب مقام الفعل، وتحيل أيضاً على معنى عدم الشك في امتناع ذكر الفعل بدل الاسم في الآية الكريمة التي استشهد بها الجرجاني في بداية خطابه. أما اسم الإشارة (ذلك) فقد ربط الخطاب اللاحق بالسابق، وقرب بينهما، فضلاً عن أن دلالاته للمفرد المذكر هذا، واتضحت هذه الدلالة في النص عندما أشار بها إلى الغرض المراد إرساله إلى المُخاطب عند تحليله للنص القرآني، وبيان أن الصفة أثبت وأجدر بالذكر من الفعل؛ لأن سياق الآية يحتم ذكرها. وأما بالنسبة للاسم الأخير (هناك)، فكما هو معروف عنه يستعمل للمكان البعيد وضمن المرسل "الجرجاني" كلامه هذا المعنى؛ عندما أبعد عن الصفة المشبهة مزاوله الفعل.

(21) دلائل الإعجاز: 175.

(22) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 34.

(23) ينظر: نظرية الصلة والمناسبة، 415.

(24) نسيج النص: 116.

النصّ التواصلّي وأثره على المتلقّي

عند الجرجانيّ (ت471هـ)

م.م زينة كريم علوان

وهذه التقديرات التي اشترط إليها هي كما قال محمد خطابي: بأنّها لا تمس المبدأ العام القائم، والمستقر خلف الإشارة؛ وهو جعل الخطاب منسجماً ومتناسكاً من خلال استحضار عنصر متقدم، أو خطاب ما بأكمله.⁽²⁵⁾ لنلاحظ أيضًا كيف زاد المرسل من قوة خطابه وتماسكه، بحيث يكمل كل لفظ فيه معنى اللفظ الآخر؛ وذلك عندما استعمل أدوات الربط، وجعل كل واحدة منها تأخذ مسارها الأمثل في الجملة، فضلًا عن أن بوجودها يتيّسر على المتلقّي الوصول إلى المعنى المراد ليصبح بإمكانه التواصل مع المرسل من خلال النصّ المبعوث له من المرسل، ومثال على هذا الفعل (تعتبره) المذكور في نصّ الجرجانيّ المختار، فقد اقترن به ضمير متصل (الهاء) الذي يشير إلى إحالة وهي: ((رابط دلالي إضافي لا يطابقه أي رابط بنيوي)).⁽²⁶⁾ ونوع الإحالة التي أشار إليها الضمير هي إحالة خارجية (مقامية): ((وهو الإتيان بالضمير للدلالة على أمر ما غير مذكور في النصّ مطلقًا)).⁽²⁷⁾ بمعنى أن الضمير المتصل قد أحال إلى "الخبر"، الذي لم يرد ذكره في النصّ. والسياق العام لهذا الخبر هو الفروق فيه من حيث الاسم والفعل في الإثبات تحديدًا. وكل لفظ ومعنى، وأداة ربط استحضرها المرسل لتعزيز ودعم خطابه بالقوة والرصانة والانسجام توصلنا إليه من (النص) فقد حمل في ثناياه قصد ورسالة المتكلم "الجرجاني"، التي يروم إلى تحقيقها، ولكي يأخذ التواصل مع المرسل إليه ذروته من النجاح. فالنصّ إذن جملة من العناصر التي تترابط بتوفير الروابط التركيبية والزمانية، مع الروابط الإحالية، التي لا يخلو نصّ منها، أو من ضمير عائد أو اسم إشارة، أو اسم موصول... وغيرها من الروابط، وكل هذا الكلام سيّرتَه وظيفة الذاكرة البشرية، التي باستطاعتها اختزال آثار الألفاظ السابقة وتقرن بينها وبين العناصر الإحالية التي ترد قبلها أو بعدها فتحللها بنجاح ومن دون ضير بالتواصل.⁽²⁸⁾

ناهيك عن الكفاية الاتصالية التي كان يتمتع بها المرسل، التي تعد برأي هيمز ((القدرة على نقل رسالة أو توصيل معنى معين، والجمع بكفاءة بين معرفة القواعد اللغوية، وبين القواعد الاجتماعية في عملية التفاعل بين الأفراد)).⁽²⁹⁾

إنّ كل فكرة أو معلومة أو قصد ما، كمنّت في نفس منشئها فقد عبّر عنه في الرسالة وتواصل مع المتلقّي، وأوصل إليه المعنى المراد تحقيقه ونجاحه، وهي شأنها شأن المرسل والمرسل إليه تتمتع بصفات

⁽²⁵⁾ ينظر: لسانيات النص، 177.

⁽²⁶⁾ نسيج النص: 121.

⁽²⁷⁾ نحو النص: 121.

⁽²⁸⁾ ينظر: نسيج النص، 121.

⁽²⁹⁾ تعليم اللغة اتصاليًا بين المناهج والاستراتيجيات، رشدي احمد طعيمه و محمود كامل ناقة، 46.

ومسمياتٍ عدّة، منها اسم الرسالة التي قد مرّ ذكره مسبقاً و"المرسلة" اللغوية التي أطلقها جاكبسون.⁽³⁰⁾ والقصد، والغرض.⁽³¹⁾ وغيرها من المسميات التي تحمل المعنى نفسه، و الاختلاف فقط في الألفاظ.

الخاتمة ونتائج البحث

ختمت الدراسة بأهل النتائج التي توصل إليها البحث، وهي:

- 1- أثبتت الدراسة أن الجرجاني قد مهد لطلابه ومستقبليّ خطابه بفعلٍ كلامي مباشرٍ، وبصبغةٍ تعليميةٍ يلمسها ويدركها كل مستمع أو قارئ متأمل للكلام ولصاحبه.
- 2- سعى الجرجاني بأن يكون الخطاب المباشر الذي عبر به ليس مختصاً بمخاطبٍ معيّنٍ؛ فهو يصلح كذلك لكل زمان، ولكل متلقٍ وقارئٍ يتواصل مع محتوى كلامه.
- 3- ركز الجرجاني على إتقان وظيفة التواصل، عن طريق استعماله للأدوات التي ساعدت على تماسك النص وترابطه بين أجزاء الرسالة، وهذا يساعد المخاطب على الفهم ويحيله إلى المعنى المراد من الرسالة والوصول إلى الغرض بسهولة ويُسر.
- 4- أراد الجرجاني توجيه مسامع المخاطب، ولفت أنظاره إلى محتوى خطابه وما يتضمنه من تفاصيل وموضوعات يطمح إلى تحقيقها، وإيصالها للطرف الآخر المشارك في العملية التواصلية.

المصادر والمراجع

- 📖 الاتصال ونظرياته المعاصرة، دكتور حسن عماد مكاي و دكتورة ليلى حسين السيد، الناشر: الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، جماد الثاني 1419هـ _ اكتوبر 1998م.
- 📖 استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، عبد الهادي بن ظفر الشهري، الطبعة الأولى، آذار- مارس- الربيع 2004، دار الكتب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان.
- 📖 إشكالية التواصل وأركان العملية التواصلية، مجلة قضايا لغوية، عبد الله الحتوك، مختبر المغرب: التاريخ والعلوم الشرعية واللغات كلية الآداب و العلوم الإنسانية سايس - فاس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله (فاس المغرب المجلد 3، العدد الأول، 2023

⁽³⁰⁾ ينظر: النظرية اللسانية عند جاكبسون، 65.

⁽³¹⁾ لسانيات النص: 53.

النصّ التواصلّي وأثره على المتلقي

عند الجرجانيّ (ت471هـ)

م.م زينة كريم علوان

📖 آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، الدكتور محمد أحمد نحلة، استاذ العلوم اللغوية، كلية الآداب - جامعة الأسكندرية، رفع: عبد الرحمن النجدي اسكنه الله الفردوس، دار المرفق الجامعية، 2002.

📖 أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: 761هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

📖 تاريخ ابن خلدون المسمى: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، عبد الرحمن بن خلدون (732 - 808 هـ)، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: أ. خليل شحادة، مراجعة: د. سهيل زكار، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى، 1401 هـ - 1981 م.

📖 تجليات الرسالة اللسانية في الخطاب السينمائي قراءة في أبعاد ودلالات اللغة السينمائية، جابري سارة، جامعة عباس لغزور خنشلة، الجزائر، [ALTRALANG Journal](http://ALTRALANGJournal.com)، Volume 05 Issue 01 / June 2023

📖 تعليم اللغة اتصالياً بين المناهج والاستراتيجيات، د. رشدي احمد طعيمة و د. محمود كامل الناقبة، الناشر: منشورات المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقاف اسيسكو 1427هـ - 2006.

📖 توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي (المتوفى : 749هـ)، شرح وتحقيق : عبد الرحمن علي سليمان أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر، الناشر : دار الفكر العربي، الطبعة الأولى 1428هـ - 2008م.

📖 الحوار في شرح الاجرومية، السيد بن حسن الديب، منسق اللغة العربية بمدارس الأندلس الخاصة للبنين سابقاً، تقريظ، أ. د. حمزة بن عبد الله النشري عميد كلية اللغة العربية بالمنوفية سابقاً وعضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الاساتذة بجامعة الأزهر، و د. عبد الله بن محمد بن الفقيه الجكني الشنقيطي، رئيس لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية والخبير في وزارة الاوقاف في دولة قطر، الناشر: دار الارقم للنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية - شين الكوم، دار الرسالة العلمية، الطبعة الأولى، 1433هـ - 2012م.

📖 دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة 1413هـ - 1992م.

📖 سلطان اللغة، أ.د محمد ناصر الشهري، جامعة الملك سعود بالرياض، مدار الوطن للنشر، الطبعة الاولى، 1433هـ - 2012م.

📖 العقل واللغة والمجتمع (الفلسفة في العالم الواقعي)، جون سيرل، ترجمة: سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم_ ناشرون، منشورات الاختلاف المركز الثقافي المغرب، الطبعة الأولى، 1427هـ _ 2006م.

📖 فتح رب البرية في شرح نظم الأجرومية (نظم الأجرومية لمحمد بن أبّ القلاوي الشنقيطي)، مؤلف الشرح: أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، الناشر: مكتبة الأسد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1431هـ - 2010م.

📖 في التداولية المعاصرة والتواصل، أ. مولز_ ك. زيلتمان_ ك. أوريكيوني، ترجمة وتعليق: د. محمد نظيف، إفريقيا الشرق_ المغرب 2014.

📖 لسانيات النص(مدخل إلى انسجام الخطاب)، محمد خطابي، الطبعة الأولى، 1991، الناشر: المركز الثقافي العربي، بيروت_ لبنان.

📖 نحو النص(اتجاه جديد في الدرس النحوي)، الدكتور احمد عفيفي، استاذ النحو والصرف والعروض، كلية دار العلوم_ جامعة القاهرة، الناشر: مكتبة زهراء الشرق الطبعة الاولى 2001.

📖 نسيج النص (بحث فيما يكون به الملفوظ نصًا)، الأزهر الزناد، الناشر: المركز الثقافي العربي_ بيروت، الطبعة الأولى، 1993.

📖 النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، فاطمة طبال بركة، الطبعة الأولى 1413هـ - 1993م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت _ الحمرا.

📖 نظرية الصلة أو المناسبة في التواصل والإدراك، دان سبيل، ربر و ديري ولسون ترجمة: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، مراجعة: فراس عواد معروف، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى أذارا مارس 2016.

📖 التواصل اللساني والسميائي والتربوي، الدكتور جميل حمداوي، الطبعة الأولى 2015.

📖 التواصل اللساني والشعرية (مقاربة تحليلية ونظرية رومان جاكبس)، الطاهر بن حسين بومزير، استاذ اللسانيات جامعة جيجل - الجزائر، الطبعة الاولى 1428هـ-2007م، الدار العربية للعلوم - ناشرون، منشورات الاختلاف -بيروت.